أثر الدعوة فى إصلاح المجتمعات الإنسانية في ضوء السنة

الدكتور محمد عادل خان آفريدى

dradil@iium.edu.my

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية العامّة

كليّة معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

ورقة عمل مقدّمة في

"المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية في عصر العولمة"

خلال فترة 4-5 أكتوبر 2012م

تحت إشراف جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

سلطنة بروناي، دار السلام

*

تحت محور

اهتمامات الدعوة في عصر العولمة (رقم 8)

أثر الدعوةفى إصلاح المجتمعات الإنسانية فى ضوء السنة

ملخص البحث :

الإسلام دين عدل ورحمة، يتجاوز حدود اللون واللغة والجنس، وبالتالي عامل مهم في قضية التعايش بين الشعوب والأمم، وعامل مهم في صنع وحماية المكتسبات الحضارة البشرية جمعاء، فالمسلمون أصحاب رسالة خالدة وحضارة متكاملة، وتعاليم الإسلام تحض على الخير والفضلية، وتحارب المنكرات، وإن الرسالة والأسوة الحسنة التي جاء بها الرسول العربي الأمي ـــــــــــــــ صلى الله عليه وسلم ـــــــــــــــ رسالة كاملة باقية، وأسوة جامعة شاملة، لا ينقص منها شيء يتعلق بصالح البشرية والمجتمعات الانسانيةوفائدتها، ولاتنتهي بانتهاء القرون والأجيال، ولقد بعثه الله معلماً للمجتمعات البشرية كافة، ومرشداً ومربياً لها، وهادياً إلى ما فيه سعادتها وخيرها وفضيلتها وفلاحها، في الدنيا والآخرة.

وان بحثنا هذا

"أثر الدعوةفى اصلاح المجتمعات الانسانيةفي ضوء السنة"

يتجمع في نقاط ثلاثة كما تلى:

1- مفهوم الاصلاح وأثره في التربية،
2- مكانة الفرد المسلم في المحتمع الاسلامى، وأثره في تكوينه والحفاظ عليه،
3- أهمية المجتمع الانسانى في حياة الفردالمسلم وآثاره في تربيته و تكوين شخصيته،

الكلمات المفتاحية: اصلاح، المجتمعات، البشر، عصرالعولمة،دراسة، السنة،

اهتماامات بالغة لإصلاح المجتمعات الإنسانية عبر القرون:

إذا نرى تاريخ البشرية وحركات إصلاحها فنجد في ضمن تلك الجهود الجبارة، جهود النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يهتم دائما لبناء مجتمعٍ إنسانيٍ فاضلٍ في حياته المباركة، لذلك يرى الناظر في سيرته الطيبة أنها تشمل جميع شؤون الحياة البشرية وأمورها، وتحتوي على كافة أحوالها وظروفها، من علاقته بالرب، وصلته بخلقه وأبناء جنسه، وعيشته مع أهل قرابته وصهره ونسبه، وهذه الاهتمامات لاتكاد تجدها عند أحد في تاريخ الإنسانية إلا في سيرة سيدنا محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم.

وإن الأحاديث النبوية التي وصلت إلينا عبر القرون والأجيال بوسائط متينة، وذرائع مختلفة، هي تحمل بين طيّاتها وعباراتها جميع مايتعلق بهذه الرسالة الكاملة، والسيرة العظيمة، وأصولها وأجزائها. وإن بداية الدعوة النبوية وقيام النبي صلى الله عليه وسلم بإصلاح الفرد وتكوين المجتمع، وجهوده الجبارة المستخدمة في هذه البغية لجانب عظيم من جوانب سيرته وحياته، فهي النقطة التي تدور عليها سيرته الدعوية وقيامه في مجتمع مكوّن من أفراد كلهم أجمعوا على الصلاح والخير، فعاشوا والقرآن ينطق بمكانتهم وعظمتهم بأنهم: ((رضي الله عنهم ورضوا عنه))[1].

وبذلك تَسَنّى لخلق الله في أرضه أن ترى عليها فئةً من البشرية، تعيش في بيئةٍ مطمئنةٍ صالحةٍ ـــــــــــــــ ترعى أوامر الله ونواهيه، وتحترم الإنسانية وحاجاتها ومشكلاتها

ـــــــــــــــ على الرغم من قلة الأسباب المتكَفّلة لصالح الحياة الإنسانية، وتوارد المشاكل الخارجية الجماعية والانفرادية الأخرى التي تعود من حين لآخر لأصحاب هذه الدعوة الكريمة، ولا تخلو منها حياة داعٍ في مرحلة من مراحل دعوته، ولا مجتمع دعوي في قرنٍ من قرونه. فقال الله تعالى: ((محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة،

---

[1] البينة: 8

ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة وأجرا عظيما))[2].

والأحاديث الواردة في بيان دعوته وإصلاحه، وقيامه بتكوين بيئة صالحة تدل على أنه قائم على أساس الربط بين العبد والرب، والعلاقة بين الفرد والمجمتع، فالعبد الذي لايعرف ربه ويجهل عظمةَ شأنه؛ حُرم من الخير والكرامة، والفرد الذي لا يمشي مع المجمتع ولا يُقدِّر له احترامه لا يأتي بخير ينفع به؛ وإنما هو غايته الإكثار من فائدته، والعكوف على جلب النفع إليه لا إلى غيره، والإنسانية المضطربة ليست بحاجة اليوم إليه، وإن كانت الدنيا ملآن من أمثاله وذويه.

وإننا اليوم والأمة الإسلامية جمعاء نقابل بأزمات مختلفة، ومأساة شديدة، ولكن أكثرها يرجع إلى خلل في حياتنا وفي سلوكنا، فربما تَوخّينا أغراضَنا وعظّمناها؛ حتى كدنا أن ننسى ما يجب علينا رعايته في حياتنا بالنسبة إلى أغراض الآخرين ومصالحهم، فالمسلم يعتقد نفعَ أخيه نفسَه نفعَه؛ لأنه يراه برؤيته نفسَه، ويظنه منه، كأنه بعض منه.

والحاجة إلى إصلاح المجتمع البشري المسلم وتوجيهه بالرسالة النبوية الأكثر بكثير من الأمس الغابر؛ فعصرنا هذا، الذي نعيش فيه عصر العولمة والتدويل، فالدنيا قد تقلّصت، وأصبحت كقرية صغيرة أو أسرة صغيرة، ما إن تحدث كارثة في أقصى المغرب إلا ويصل خبرها إلى أقصى المشرق في لحيظة، ولا لحظة، عبر وسائل الإعلام. فوسائل الإعلام لها أثر كبير على المجتمعات البشرية في عصرنا الراهن، عصر العولمة، ومن سوء الحظ أن أعداء الدين الإسلامي معاندوا القيّم الإنسانية التي جاء بها رسولنا صلى الله عليه وسلم هم الذين يتسلطون عليها. وأكثر البرامج التي تُبثُّ عبر وسائل الإعلام تعمل وراءها اللوبيات اليهودية لتشويه صورة الإسلام.

فالمسؤولية تقع على عاتقة العلماء، والاساتذة،والدعاة، والكُتّاب، والصحفيين، والإعلاميين المسلمين أن يهتمّوا اهتماماً شديداً بالغاً في توجيه المجتمعات البشرية بالتعليمات النبوية توجيهاً سديداً مستقيماً. فها هو نحن ـــــــــــــــ وكل داع إلى صالح البشرية وفائدتها ـــــــــــــــ اليوم بأمسّ حاجة إلى أن نقف على الأمور الأساسية التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل الإصلاح والتربية، والتي بها قوام الحياة الطيبة في الدنيا،

---

[2] الفتح: ٢٩

والفوز والنجاح في الآخرة، وأن نسلكها في سبيل دعوتنا وقيامنا بإصلاح الفرد والمجتمع، وأن نتحرّز بشدة من كل مايضادها، ويأتي بنتائج خاسرة ومشاكل مضعفة.

النقاط الثلاثة

وإن بحثنا هذاعن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في إصلاح المجتمع الإنساني الصالح وتربيته وتوعيته؛ يتجمع في نقاط ثلاثة كما تلي:

النقطة الأولى: توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وآثارها في التربية والإصلاح:

إن الصلة بين الفرد والمجتمع، والعلاقة المتينة بينهما لها مكانة وأهمية كبرى في صلاح الفرد وتكوين المجتمع الإنساني القائم على عبادة الله ورعايته، ورعاية عباده ومصالحهم، وقد جاء في غير واحد من آيات كتاب الله، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان هذا وتوكيد معناه بأن القيام بتربية الناس، و هدف تزكيتهم لايتوصل إليه إلا بالتودد والرأفة، والوثاق والمعونة بينهم، وكلما زادوا منه زادوا من الأول كثيراً؛ صلاحاً ورشداً، بركةً وسعادةً، طمأنينةً ورفاهيةً.

قال الله عز وجل: ((يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير))[3]، مخبراً بأن الناس أجمعين بينهم صلة وقرابة، يجب عليهم احترامها ورعايتها، على مختلف الشعوب والأقوام، وليس هذا الفرق بين شعوبهم وقبائلهم إلا ليتعارفَ بعضُهم على بعض في النسب، فيزيدهم حباً وعرفاناً، لا للتناكر عن الآخرين واحتقارهم. فالفضيلة والكرامة في التقوى من الله، وليست في دمٍ وعرقٍ دون آخر.

وأكّد الله سبحانه وتعالى هذا المعنى في آية أخرى بأنه ليس للإنسان أن يكون مغروراً بحاله وترحاله، ولا له أن يفتخر بحسبه ونسبه، فيحقر أحداً غيره؛ إذ الكل سواء في خلقهم ونشأتهم،

[3] الحجرات: ١٣

وليست له مزية على غيره، وقال: ((والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، إن ذلك على الله يسير))[4]، وبيّن الله تعالى في هذه الآية: أن الخير لايأتي إلا بطلبه، والشرَّ لا يُدفع إلابالقيام بدفعه، وبهذا يتكوّن المجمتع ويُحافظ عليه، والمؤمنون الذين أقرّوا بوحدانيته وجميع صفاته، ورسالة نبيه صلى الله عليه وسلم، و يؤمنون بالآخرة هم بعضهم إخوة بعض، وبدأت آثار هذه الأخوة الإيمانية تظهر فيهم، فمن عادتهم وخلقهم أنه يأمر بعضهم بعضاً بالخير، ويدله على أبواب السعادة، وينهاه عن منكر يرونه منه؛ مخافة ما يُورِث الشرَّ و الوخيمةَ في الدنيا والآخرة.

فقال الله تعالى: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليآء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم))[5]. وقال تعالى: ((لا خير في كثير من نجوىهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغآء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً))[6].

ففي هاتين الآيتين أكّد الله عز وجل بأن القيام بالإصلاح وتكوينِ البيئة على الخير والفضيلة واجبهم جميعاً، ولا يبقى مجتمع ـــــــــــــ نشأ على الخير ـــــــــــــ على ما كان فيه من الخير السابق حتى يتواصلوا جهودَهم ويجمعوا رأيَهم و فكرَهم لأجل الحِفاظ عليه وجلبِ النفع وأسبابه، ودفع الضرر وطرقِ الشرِّ كلّها.

وهذا هو أساس الخير والسعادة في مجمتع المسلمين، فلا يظن أحد منهم أنه لا شأن له في ما يفعله أخوه وجاره وقريبه، وأنه لا يقع في أمر غيره، بقولته: أنه يعقل ويفهم بنفسه أموره، وهو حُرٌّ في رأيه وعمله، يَحِقُّ له ما يأتي ويقول أو يفعل. فهذه أصواتُ شرٍّ عند المسلمين لاخير فيها. والحين نحن في عصر التكنولوجياة والتقنية، كل الناس ـــــــــــــ شرقيين كانوا أوغربيين ـــــــــــــ متجاورون لما أن المسافات الأرضية قد تقلصت، قد جمعتهم وسائل الإعلام في شقة واحدة أو منطقة واحدة، فيجب على الجميع لتكوين بيئة عالمية صالحة أن يأخذوا حذرهم قولا وعملا. قال الله تعالى: ((إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله

---

[4] فاطر: ١١

[5] التوبة: ٧١

[6] النساء: ١١٤

والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أوليآء بعض، والذين آمنوا و لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير، والذين كفروا بعضهم أوليآء بعض، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا، لهم مغفرة ورزق كريم، والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، إن الله بكل شيء عليم))[7].

وكلما يتوحّد أمر المسلمين على الأمر بالمعروف والخير بينهم، والنهي عن المنكر والشر، يتمتعون ببيئة فيها الخير والسعادة، يستفيد بها كل من يأوي إليها، وبذلك يصبح المجتمع الإسلامي مُرَبِّياً كبيراً للجيل، وحارساً عظيماً لِقِيَمِه الخلقية والسلوكية.

وقد أكَّد هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في جُلّ أحاديثه، وعظّم شأنَ المجتمع والقيام بصلاحه، وحَذّر عن كل ما يُورث ضعفَه ويأتي بالشر فيه والضرر.

وأخرجه مسلمٌ عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال: أتينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً، فظن أنّا قد اشتقنا أهلَنا، فسألَنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم، ومروهم، فإذا حضرتِ الصلاةُ فليؤذّن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»[8].

وأخرج البخاري عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[9].

---

[7] الأنفال: ٧٢ – ٧٥

[8] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساجد، باب: من أحق بالإمامة. 465/1. رقم: 674.

[9] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب العلم، باب: الدين النصيحة.....، 137/1، رقم: 57.

وأخرج الإمام مسلم عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ؟، قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[10].

وأخرج البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، و بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَن فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً و لم نُؤذ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[11].

وإن العلاقة والمحبة بين المسلمين من أعظم مايُقَوّي أمرَهم ويُصلح مجتمعَهم، وللوشائج والقربات والصلات أثر بالغ في الإصلاح والإرشاد، قال الله سبحانه: ((والذين تبوءو الدار والإيمن من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون))[12].

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[13].

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن أبي المنهال، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال:كان منا رجل ـــــــــــــ معشر الأشعريين ـــــــــــــ قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه مشاهده الحسنة الجميلة، يقال له: مالك ـــــــــــــ أو ابن مالك ـــ شكّ

---

[10] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة.....، 74/1، رقم: 55.

[11] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستفهام فيه، 132/5، رقم: 2493.

[12] الحشر: ٩

[13] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، 74/1، رقم: 93-54.

عوف ـــــــــــــــ فأتانا يوماً فقال: أتيتكم لأعلّمكم، وأصلّي بكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا، فدعا بجفنة عظيمة فجعل فيها من الماء، ثم دعا بإناء صغير، فجعل يفرغ في الإناء الصغير على أيدينا، ثم قال: أسبغوا الآن الوضوء، فتوضأ القوم، ثم قام فصلى بنا صلاة تامة وجيزة، فلما انصرف قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد علمت أن أقواماً ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله»، فقال رجل من حجرة القوم ـــــــــــــــ أعرابي ـــــــــــــــ قال: وكان يعجبنا إذا شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون فينا الأعرابي؛ لأنهم يجترئون أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نجترئ. فقال: يا رسول الله! سمِّهم لنا؟ قال: فرأينا وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلّل قال: «هم ناس من قبائل شتى يتحابّون في الله، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ما يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا»[14].

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قوماً من المسلمين، للتحابب بينهم، والوحدة والجماعية فيهم، فقد أخرج الإمام البخاري: عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم»[15].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نَفَّسَ عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله،

---

[14] أخرجه الموصلي، أبو يعلى أحمد بن على التميمي، في **المسند**، في مسند حديث مالك أو ابن مالك، 56/6، رقم: 6857.

[15] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الشركة، باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض، 129/5-128، رقم: 2486.

ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه»[16].

ولما كان للموافقة والوحدة أثر بالغ في تكوين الهوية الإسلامية للفرد والمجتمع معاً، أمر سبحانه وتعالى بالاعتصام والاتفاق بين المسلمين، والمؤاخاة بينهم، وأكّد عليهم أن يكونوا معاً في حياتهم، وأن يسمح بعضهم لبعض فيما شجر بينهم، قال تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيّن الله لكم ءايته لعلكم تهتدون))[17].

ولو وقعت الفتنة بينهم، وأفضى بهم الأمر والتنازع حتى القتال، فالكل مأمورون بأن يُدافعوا الفتنةَ ويُطفئوا نيرانها، فيقومون في وجه الخلاف بالإصلاح بين الفئتين، وثمة لو تبغي إحداهما على الأخرى بعد أن تصالحوا، فعليهم أن يخضعوها ولو بمدافعة قوتها والوقوع عليها؛ لأن وحدة كلمة المسلمين أمرٌ ليس فوقه شيء، وقَلّما تساويها بُغية أومصلحةٌ أخرى.

قال تعالى: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون))[18].

وأخرج الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه ـــــــــــــ أو بزمامه ـــــــــــــ قال: «أيّ يوم هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمّيه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟»، قلنا: بلى، قال: «فأيّ شهر هذا؟»، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجة؟»،

---

[16] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الذكر والدّعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، 2074/4، رقم: 38-2699.

[17] آل عمران: ١٠٣

[18] الحجرات: ٩ – ١٠

قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا؛ ليبلّغ الشاهدُ الغائبَ؛ فإن الشاهد عسى أن يُبلّغ من هو أوعى له منه»[19].

وأخرج الإمام أبوداود في سننه: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِهِ»[20].

وأخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كلّ يوم تطلع فيه الشمس، قال: يعدل بين الإثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه، صدقة». قال: «والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[21].

وأخرج الإمام أبو يعلى في مسنده: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد مسلم أتى أخاً له يزوره في اللّه، إلا ناداه منادٍ من السماء: أن طبتَ وطابتْ لك الجنة، وإلا قال الله – تعالى– في ملكوت عرشه: عبدي زار فيَّ، وعليّ قِراه، و لم أرض له بقرى دون الجنة»[22].

ولما كان القيام بإصلاح البيئة والمجتمع أمراً عظيماً عند الله تعالى كان التسوّل لتخريبه وإفسادِه كذلك أمراً شديدا العقوبة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ((إن الذين يحبّون أن تشيع

---

[19] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ربّ مبلّغ أوعى من سامع، 157/1، رقم: 67.

[20] أخرجه أبو داؤد، سليمان بن الأشعث السجستاني، **كتاب السنن**، كتاب: الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، 332/3، رقم: 2751.

[21] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الجهاد، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، 132/6، رقم: 2989.

[22] أخرجه الموصلي، أبو يعلى أحمد بن على التميمي، في **المسند**، في مسند ميمون بن سياه عن أنس، 408/3، رقم: 4126.

الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والأخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون))[23]، وأوصى سبحانه وتعالى المسلمين أن لايصغوا إلى ما ينقله المنافقون إليهم من الاتهام والوقيعة في بعضهم؛ بل يُحسنون الظنَّ في إخوتهم المؤمنين فعساهم ـــــــــــــــــ المنافقين ـــــــــــــــــ يريدون النيل منهم بالإفساد بينهم. وقال: ((لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين))[24].

هذه آيات من كتاب الله العزيز، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح ما عليه أساس الوحدة الإسلامية، بأنها لا تتم إلا نتيجةً عن الاحترام والتقدير، و لم تقم ولن تقوم إلا بالقِيم الخلقية والنفسية؛ فالبيئة التي لا احترام فيها ولا تقدير، بل يسمح فيها للوقوع في عرض المسلمين، والنيل منهم بيئة قائمة على انهيار، لا ثبات لها.

ولايرضى الله لعباده، ولارسولُه لأمته أن يعيشوا عيشة كهذه، فيشهدون الأحوال الخلقية تنهار يوماً فيوماً، وهم مطمئنون على أنفسهم، بل السيل يغلبهم يوماً، فيسيل بهم معاً جميعاً، لو لم يقوموا بواجبهم تجاه تكوين المجتمع وإصلاحه، والحفاظ عليه من أيّ ضعف وانهيار.

هنا نحن نرى يوميا مشاجرات ساخنة بين الجبهات السياسية المعارضة للمسلمين، عبر وسائل الإعلام، ربما تتجاوز حدود الحوار في منطقها، فتتعرض إلى التشاتم والسباب، والطن والتشنيع، هذا حال القادة السياسيين، ولا شك أن عامة الناس يتأثرون من هذه الأساليب الأخلاقية، وتفضي إلى مجتمع المسلمين عادات سيئة، لابد للقادة أن يكِنُّوا احتراما في ما بينهم، وأن يقولوا قولا لينا، لو في سياق الخلافيات.

النقطة الثانية: أهمية المجتمع في حياة الفرد المسلم، وآثاره في تربيته وتكوين شخصيته:

إن من البدهيّ أن الإنسان خُلق مدنيّ الطبيعة، يعيش مع أبناء جنسه وبين ظهرانيهم، ولايستطيع أن يخرج منهم إلى الأبد، كذلك بيّن الله سبحانه وتعالى معالَم طريق حياة المسلم، وهي لاتتم إلا بقيامه بين مجتمع المسلمين، ومصاحبته معهم، يقضي حياته بينهم، ويؤدي ما عليه من واجباة نحو البيئة والمجتمع من الإحسان والخدمة والإنفاق، والصبر على ما يصيبه أثناء ذلك.

---

[23] النور: ١٩

[24] النور: ١٢

وكذلك يقوم المسلم بالمساعدة مع إخوانهم في مصالحهم وأمورهم، ولايدعهم إلا لحاجة وعن استئذان، فيرجع إليهم على الفور من حاجته، وأن لايخالفهم فيما أجمعوا عليه من الأمر.

قال الله تعالى: ((إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه، إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم))[25].

وقال الله تعالى: ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسنا وبذي القربى واليتمى والمسكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمنكم، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتىهم الله من فضله، وأعتدنا للكفرين عذابا مهينا))[26].

وقال تعالى: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وسآءت مصيرا))[27].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِى قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[28].

وأخرج الأئمة الستة في كتبهم، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في

---

[25] النور: ٦٢

[26] النساء: ٣٦ – ٣٧

[27] النساء: ١١٥

[28] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البرّ والصّلة، باب: صلة الرحم، 1982/4، رقم:2558.

سوقه، بضعاً وعشرين درجةً، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه! اللهم اغفر له! اللهم تب عليه! ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»[29].

وأثنى الرسول عليه الصلاة والسلام على كل من يأتي بما يُقَوّي أمرَ الجماعة، ويُفضي إلى تشييد كلمة المسلمين والتحابب بينهم. فأخرج الإمام الترمذي عن سعيد الطائي أبي البختري، أنه قال: حدثني كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمةً، فصبر عليها، إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد بابَ مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها. وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»، قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربَّه، ويصل فيه رَحِمَه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يَخبط في ماله بغير علمٍ لا يتقي فيه ربَّه ولا يصل فيه رَحِمَه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوِزرهما سواء». قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح"[30].

---

[29] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة، 459/1، رقم: 649.

[30] أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، في **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل**، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، 153/4، رقم: 2325.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على مواقع الاجتماع بين المسلمين ويهتم بها من صلاة الجماعة، والعيدين، والحج؛ حتى أمر النساء في زمانه ـــــــــــــــ حين الأمن من الفتن، وهن مأمورات بلزوم البيوت ـــــــــــــــ أن يشهدن الخيرَ والجمعَ.

فأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أم عطية قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحُيّض، وذوات الخدور؛ فأما الحُيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخيرَ ودعوةَ المسلمين. قلت: يا رسولَ الله! إحدانا لا يكون لها جِلباب، قال: «لِتُلبسها أختها من جلبابها»[31].

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التفريق بين المسلمين بكل شدة، قلّما يُشهد مثلها. فأخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن زيادبن عِلاقة، قال:سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهْيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[32]. وفي رواية أخرى له: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»[33].

وأخرج الإمام الترمذي: عن ابن عمر، قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال: يا أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يفشوا الكذِب؛ حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولايُستشهد، ألا لايخلُوَنَّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة

---

[31] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب صلاة العيدين، باب: ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، 606/2، رقم: 890.

[32] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب: حكم من فرّق أمر المسلمين، 1479/3، رقم: 1852.

[33] المصدر نفسه، كتاب الإمارة، باب: حكم من فرّق أمر المسلمين، 1480/3، رقم: 1853.

وإيّاكم والفرقةَ؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، من أراد بُحبُوحةَ الجنة، فليلزمِ الجماعةَ، من سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فذلك المؤمن»[34].

النقطة الثالثة: مكانة الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي، وأثره في تكوينه والحفاظ عليه، واهتمام العناية بشؤونه وتعظيم أموره

قد بَيَّنَ الله تعالى بأن المسلمين جميعاً مأمورون بأن يقوموا بصالح أخٍ لهم، وإرشاده وتربيته، وأن يحبوه، ولايُوَهِّنوا أمرَه، فقال: ((إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون))[35]، وقال تعالى: ((ومن يقتل مؤمنا متعمّدا فجزآؤه جهنم خلدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما))[36]. فنهى سبحانه في هاتين الآيتين عن كل ما يُسَبّب التحقيرَ ويُثير البغضَ والشحناء بين المسلمين، فقال تعالى: ((يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نسآء من نسآء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمن ومن لم يتب فأولئك هم الظلمون))[37].

وكذلك عظّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم شأنَ المسلم والاعتناءَ بشؤونه، وأمرَ إخوتَه المسلمين أن يَكُفُّوا عنه، ويهتمّوا بأموره، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ـــــــــــــــ ويشير إلى صدره ثلاث مرات

---

[34] أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، في **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل**، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب أبواب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، 38/4، رقم: 2165.

[35] الحجرات: 10

[36] النساء: ٩٣

[37] الحجرات: ١١

ـــــــــــــــ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[38].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال: لا غير أني أحببته في الله ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببتَه فيه»[39].

وأخرج أيضاً عن إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك ـــــــــــــــ وهو عم إسحاق ـــــــــــــــ قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مه مه"، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشَنَّه عليه[40].

فكان هذا موقف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من أعرابي بال في مسجده رعايةً لأمره، وحاجته، وعلّم الصحابة كذلك ماينبغي لهم أن يفعلوه في مثل هذه المواقف.

---

[38] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البرّ والصّلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، 1986/4، رقم: 2564.

[39] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البرّ والصّلة، باب: في فضل الحبّ لله، 1988/4، رقم: 2567.

[40] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل البول، 237/1، رقم: 285.

وأخرج عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»[41].

وأخرج كذلك عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[42].

وأورد الهيثمي في "مجمع الزوائد" عن ابن عباس قال: "خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة أسمع العواتق في خدورهن، فقال: «يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبَه! لاتؤذوا المؤمنين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم هتك الله ستره، ومن يتبع عورته يفضحه، ولو في جوف بيته». رواه الطبراني ورجاله ثقات[43].

أخرج أبوداود في سننه عن أبي خراش السُلمي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[44].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِى وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضِي اللهُ عَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ»[45].

---

[41] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البرّ والصّلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، 1999/4، رقم: 2585.

[42] المصدر نفسه، كتاب البرّ والصّلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، 1999/4-2000، رقم: 2586.

[43] أخرجه الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في الغيبة والنميمة، 177/8، رقم: 13142.

[44] أخرجه أبو داؤد، سليمان بن الأشعث السجستاني، **كتاب السنن**، كتاب: الأدب، باب: في من يهجر أخاه المسلم، 319/5، رقم: 4879.

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ؛ رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»[46].

وأخرج الإمام مسلم عَنْ صَفْوَانَ ـــــــــــــــ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ ـــــــــــــــ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ، ووَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صلّى اللهُ عليه وسلّم كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ،كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»[47].

وقد عَظَّم الله سبحانه وتعالى شأنَ من يقوم بفكّ الأسارى الذين في أيدي الكافرين والظالمين، وبعتق الرقبة، والإطعام في يوم المشكلة والجوع، والإحسان باليتيم والفقير المدفوع من الأبواب، والمطروح في الطرقات. فهذه أعمال عظيمة، وها هي خصائل يحبها الله ورسوله أن يتحلَّى بها مجتمعُ المسلمين، فهُمُوْا جديرون به قبل كل أحد، وهُمُوْا مأمورون به.

قال الله عزّ وجلّ: ((فلا اقتحم العقبة، وما أدرىك ما العقبة، فكّ رقبة، أو إطعم في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة))[48].

---

[45] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب السلام، باب: تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث، 1718/4، رقم: 2184.

[46] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، 112/3، رقم: 1240.

[47] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، 2094/4، رقم: 2733.

[48] البلد: ١١ – ١٦

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»[49].

وعن شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ، قَالَ : قُلْتُ لِكَعْبٍ: يَا كَعْبَ بْنَ مُرَّةَ! حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم وَاحْذَرْ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم يَقُولُ: «مَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ بِكُلُّ عَظْمٍ مِنْهُ عَظْمٍ مِنْهُ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ بِكُلِّ عَظْمَيْنِ مِنْهُمَا عَظْمٌ مِنْهُ»[50].

وهذا واجب المسلمين كُلّهم أن يقوموا بفَكّ الأسير، ويخلّصوه من أيدى الظَلَمة والكفرة، فالمسلم أخو المسلم، يُنفق عليه كما يُنفق على نفسه، ويشفق عليه كما يشفق على نفسه. وإذا كان لا يحب أن يصبح مقهوراً، مذلولاً، مهجوراً بين الأيدي الغاشمة الخينة الظلمة، فلن يرضى لأخيه أن يُعاني مثل هذه الشدائد والمحن.

فقد أخرج الإمام مسلم عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسَلّمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربةً فَرَّجَ الله عنه بها كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[51].

---

[49] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **"الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"**، بشرح "فتح الباري"، كتاب الحج، باب: المحصر وجزاء الصيد، برقم: 2346.

[50] أخرجه ابن ماجه في السنن، في أبواب العتق، باب العتق، برقم: 2522.

[51] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البرّ والصّلة، باب: تحريم الظلم، 1996/4، رقم: 2580.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ نَجَّى مَكْرُوباً فَكَّ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»[52].

فعلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بأن تُعظّم شأنَ أحدٍ منهم، وتُوقره، وتُقدّر له، فهو أخوهم، وله حق واجب عليهم. فكلما يقومون به يقومون عن واجب عليهم من غير منة وإحسان. وهذا يُورث المحبةَ بين قلوب المسلمين، والوحدةَ فيهم، ويُفضي إلى الطاعات والخيرات، وينهى بالفعل عن المعاصي والمنكرات.

خلاصة البحث :

نحن في حاجة إلى الاهتمام بتنمية الموارد البشرية في المجتمع، ولا يختلف اثنان في أن رُقِيَّ المجتمع معقودٌ برُقِيِّ إفراده، وترابُطِ لبناته، ولن يتمَّ ذلك للمجتمع إلا إذا التزم الأفراد بإيمانٍ يدفعهم إلى العمل، وسلكو مَحجَّةً تُوجب لهم الرقي والتقدم، لذلك وجب تنميةُ الموارد البشرية القادرة على التطوير والتحديث بالاهتمام بالغذاء القرآني، الذي يجعل القلب نقياً من الدرن، والروح قوية دافعة إلى الابتكار في الفكر والعمل. ومن ثمّ لابد للإدرات والمؤسسات والأكاديميات من مراعات المتطلبات الموجودة في أفراد المجمتع؛ ليكونوا متمتّعين بالمهارات الفنية والسلوكية والإبداعية، لتزداد فاعلية المجتمع التي بها تتمّ نهضته الإبداعية والتطويرية، ثم تعميل ذلك من خلال الكتب والمجلات ووسائل الإصدار والطبع والإعلام الأخرى المؤثرة التي تحمل في طياتها ذاك الجانب المهم، ومنح المعاني والتعليمات الاجتماعية المكتسبة من كتر النبوة المحمدية ـــــــــــــ على صاحبه آلاف الصلوات والتسليمات ـــــــــــــ مكانَها اللائق.

ومن المعلوم أن القيادةَ السياسةَ مسؤولةٌ بأداء دورها في إصلاح المجتمع، لكن عمل المؤسسات والإدارات والأكاديميات سيُسهِّل طريق الهدف، ويخفِّف المشاكلَ والعِبءَ، وستكون مساعدةً للقيادات السياسية في تكوين رجال مسابقين إلى الخيرات، حاملين مسؤولية إصلاح المجتمع.

---

[52] أخرجه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، في **المسند**، تحقيق: أبو المعاطي، أحمد عبد الرزاق عيد، مسند مسلمة بن مخلد، 785/5، رقم: 17084.

ما أسعد أن نكون نحن المطالبون لتفعيل الدور المؤثر لإصلاح المجتمع البشري أولَ من نشمّر في بناء شخصيتنا وتعبئتنا بروح الإيمان، وأن نجعل شخصيتنا مثلاً طيباً للدين من خلال التفاعل الإيجابي، ووضع إستراتيجية واضحة لإصلاح المجتمعات البشرية، ثم نُساعد في بناء المجتمع.

إننا نؤمن بالقيم والأخلاق التي تدعو السنة لمثلها، وندعو أهل الغرب إلى البحث عن الجوانب المشرقة الإيجابية التي أنتَجَتْهَا الحضارةُ الإسلاميةُ لدي الغربيين، فهناك آلافٌ من شعراء وكُتّابٍ غربيين مرموقين، مثل "دانتي" تأثّر بتعاليم الإسلام وقيمه. وإنني أدعو القادة العلماء والكتاب في الختام أن نتعاون في نقاط الالتقاء للنهوض بالإنسانية، وبالتواصل بين المسلمين في المجتمع الواحد، والتواصل بين أفراد الأسرة الواحدة، والتواصل بين الآباء والأبناء، وبين أجيال المسلمين في أوروبا، مع المراعات لاختلاف عصورهم، وأزمانهم، وبيئاتهم، ومستوياتهم الثقافية، وبهذا يتم تكوين مجمتع إسلاميّ اجتمعوا على مرضات الله وبركاته، تنْزل عليهم الرحمة والسكينة، والطمأنينة في قلوبهم في الدنيا، ولهم البشرى في الآخرة بالفوز بدرجات النعيم، وذلك هو الفوز العظيم.

مصادر ومراجع البحث:

1. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم البخاري، بشرح فتح الباري للحافظ ابن حجر، ترقيم: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، مراجعة: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ط: دارالفكر، بيروت، دون تاريخ النشر.

2. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبدا لباقي، ط: تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ النشر.
3. كتاب السن: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِجستاني، تحقيق: الشيخ محمد عوامة،ط: مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، 1425هـ.
4. الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دارالغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1998 م.
5. المسند: للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنيل الشيباني، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، أحمد عبد الرزاق عيد، ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ.
6. المسند: للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
7. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ.
8. تفسير القرآن العظيم: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط: دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ النشر.